

فعلى شواطئ أمريكا أقليم واسع هو أقليم كاليفورنيا . هل يعلم القارئ ما هي كاليفورنيا التي لا شك الآن في أنها حقيقة من حقائق العيان ؟ هي في الحرفات الإسبانية كجزء من الواقع في الحرفات العربية ، هي مدينة من مدفون الاوهام تخيلها الكاتب الإسباني « متألقو » في أواخر القرن الخامس عشر وافرغ عليها مسحة من السحر وذهبًا من كنوز الخيال التي لا تقدر وجعلها على مقربة من بلاد الهند التي كانت في ذلك العهد كعالم الغيب في اوهام الرواية ، فلما شخصت السفن إلى الغرب لترتاد السبيل إلى بلاد الذهب والجوهر كانت قصة الملكة كلافيا صاحبة تلك المدينة في وطاب كل ملاح يشق غمار العباب من أجل ذلك السراب و كانت « كاليفورنيا » هي الاسم الذي اختاره الرواد لارض الكنوز والاعلاق حين تمثل الحلم في وضح النهار ، ولو لا تلكم الاحلام وما أشبهها لبقيت أمريكا في ضمير الغيب ولا أصبحت جزيرة الواقع مكاناً معهوداً على خريطة هذا العالم المعهود ! ولئن بات العالم خلواً من شواعر الاقطارات التي تهدينا إليها الأقاوص فانه في اطواء كل نفس لاقتراً شاسعاً لا يزال يهدينا إليها الحلم ولا نزال نشقُ إليها النهار ولا نزال هي الثورة التي من أجلها تنفق الثروة وهي النصار الذي من أجلهم نطلب النصار والناس يخطئون فهم « الاريكيات » التي يسمونها بالواقعيات وينكرون من أجلها الشعريات والخيالات . فما كان أبناء أمريكا وسكنها متهافتين على الذهب لأنَّ الذهب ولا كاسين المال لأنَّ المال . إنما يهافتون على الذهب لأنَّ الوسيلة إلى ما يتعطشون إليه من إحساس الحياة والعداد الذي يعدهون به قدرتهم على أن يعملوا عليهم ويشعروا شعورهم وأخذوا من الآمال بنصيبيهم ، فإذا بلغ بهم الذهب أقصى حدوده تجاوزوه في طلب الاحساس إلى المخاطرات والمجازفات وركبوا البحر والهواء إلى الموت أو إلى لحظة من الزمن يتجمع فيها من شعور الحياة ما هو وسق أعمار وأجيال الاحساس هو عملة الحياة لا عملة غيرها ولا يمكن أن يكون غيرها عملة صحيحة ، فكل شيء في هذه الدنيا لا يتحول في نهاية أمره إلى احساس هو زيف وهباء وهو خديعة وهراء وهو عدم أو كالعدم في عالم الاحياء

\*\*\* :

يقول العالم الكبير الاستاذ ارثر كيث في مقاله الذي ترجم له مقتطف ديسبر الماضي بعنوان أؤمن بالعلم : « اطلعت الآن في صحف الصباح على ان سكان بلادي اسكتلندا كانوا حينما ولدت منذ اثنتين وستين سنة ٢٢٥،٠٠٠ نسمة يحرثون ويزرعون ١،٤٧٠،٠٠٠ فدان اي ما متوسطه نصف فدان للنسمة الواحدة منهم . وقد زاد السكان الآن حتى بلغ

عددهم نحو خمسة ملايين نسمة ونقص ما يحرثونه من الأرض ويزرعونه إلى ١٤٧،٠٠٠ فدان أي أن المتوسط نقص إلى نحو ربع فدان للنسمة الواحدة ، ومع ذلك نرى سكان اسكتلندا الآن أوفى راحة ورخاء من سكانها في أواسط القرن الماضي ، فطعامهم أنظف وأكثـر غذاءً وبيوتهم أكثـر راحة ودفـأً وملابسـهم أبـقـ وأغـلـى ونظام تعليمـهم أرقـ وأشـملـ ونـفـقـاتـهمـ العـامـةـ تـضـاعـفتـ . وما يـقالـ عنـ اـسـكـوـتـلـانـداـ يـقالـ عنـ انـكـلـتاـ وـوـيلـسـ بـوـجـهـ عـامـ . فـكـانـاـ حـقـقـناـ المـسـتـحـيلـ فـكـيـفـ فـعـلـنـاـ ذـلـكـ ؟ لـقـدـ حـقـقـنـاـ هـذـاـ التـقـدـمـ بـهـارـ عـقـولـنـاـ التـيـ استـعـلـمـنـاـهـ أـدـوـاتـ لـلـعـلـ . وـالـحـقـ يـقـالـ اـنـاـ سـكـانـ الـجـزـائـرـ الـبـرـيـطـانـيـةـ قـدـ عـدـنـاـ لـاـ نـعـتـمـدـ عـلـىـ حـاـصـلـاتـ اـرـضـنـاـ بـلـ عـلـىـ خـصـبـ عـقـولـنـاـ وـمـتـجـاهـنـاـ . فـسـاحـةـ بـلـادـنـاـ يـجـبـ أـلـاـ تـقـاسـ بـالـفـدـانـ وـأـلـاـ يـبـنـىـ عـلـىـ قـيـاسـهـ كـذـلـكـ مـاـ يـكـنـ اـنـ تـسـعـهـ مـنـ السـكـانـ . وـعـلـيـنـاـ أـلـاـ تـخـوـفـ مـنـ اـزـدـحـامـ السـكـانـ فـيـ بـلـادـنـاـ .. قـبـلـ اـنـ تـبـلـغـ قـوـانـاـ الـعـقـلـيـةـ حـدـهـاـ مـنـ التـقـدـمـ وـالـاـكـتـشـافـ وـالـاخـرـاعـ وـتـصـابـ عـقـولـنـاـ بـالـعـقـمـ .. »

هـذـاـ يـؤـمـنـ الـعـالـمـ الـكـبـيرـ بـالـعـلـمـ وـيـؤـمـنـ بـرـسـالـةـ الـعـلـمـاءـ . فـالـآنـ مـاـ مـحـصـلـ كـلـ هـذـاـ اـنـ لـمـ يـكـنـ مـحـصـلـهـ اـنـ النـاسـ يـحـسـونـ فـيـ هـذـاـ العـصـرـ أـحـسـنـ مـاـ قـدـ أـحـسـوـاـقـبـلـ ستـينـ سـنـةـ وـيـتـشـوـقـونـ أـحـسـنـ مـاـ تـشـوـقـواـ وـيـسـتـرـيحـونـ أـحـسـنـ . مـاـ اـسـتـرـاحـوـاـ ؟ فـالـذـينـ يـطـلـبـونـ الـحـيـاةـ بـغـيرـ أـدـبـ يـطـلـبـونـهـ بـغـيرـ اـحـسـاسـ لـاـنـهـ لـنـ تـخـسـ اـلـاـ عـبـرـ وـلـنـ تـعـبـرـ تـعـيـرـأـ جـيـلاـ اـلـاـ كـانـ هـاـ أـدـبـ فـيـ صـورـ الـأـدـابـ

\*\*\*

وـمـنـ الـمـقـارـنـاتـ الـخـاطـئـةـ اـنـ يـوـضـعـ الـعـلـمـ فـيـ الـمـكـانـ الـمـقـابـلـ لـلـادـبـ كـأـنـ الـعـلـمـ يـعـنـ الـادـبـ اوـ كـأـنـ الـادـبـ يـعـنـ الـعـلـمـ اوـ كـأـنـ الـاـمـ لـاـ يـكـنـ اـنـ تـنـقـقـ هـاـ عـلـومـ وـآـدـابـ فـيـ وـقـتـ وـاـحـدـ . فـكـلـ أـمـةـ تـحـسـنـ التـشـوـقـ وـالـاسـتـطـلـاعـ تـحـسـنـ الـعـلـمـ وـتـحـسـنـ الـادـبـ ، وـكـلـ عـلـمـ لـاـ يـكـونـ باـعـثـهـ الشـعـورـ الصـادـقـ بـالـحـيـاةـ وـلـاـ تـكـوـنـ غـايـةـ مـنـ هـذـاـ القـبـيلـ هوـ عـلـمـ كـالـجـهـلـ اوـ لـعـلـ الجـهـلـ خـيرـ مـنـهـ لـاـنـ الجـهـلـ كـانـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـكـانـ فـيـهـاـ الـعـظـاءـ وـالـسـعـادـ وـالـفـالـبـونـ وـالـفـانـحـونـ ، بـلـ كـانـ الـشـمـسـ تـدـورـ حـوـلـ الـأـرـضـ فـيـ نـظـرـ أـلـوـفـ مـنـ سـكـانـ هـذـهـ الـكـرـةـ السـابـحةـ فـيـ الـفـضـاءـ كـانـواـ أـعـظـمـ وـأـقـدـرـ مـنـ أـنـاسـ يـلـمـونـ الـيـوـمـ اـنـهـ كـرـةـ سـابـحةـ فـيـ الـفـضـاءـ ! وـقـدـ سـبـحـتـ الـأـرـضـ سـبـحـهـاـ وـلـمـ تـقـفـ لـحـةـ عـيـنـ لـاـنـ سـكـانـهـاـ سـلـخـوـاـ الـدـهـورـ يـجـهـلـوـنـهـاـ وـيـظـلـوـنـهـاـ الـوقـوفـ

\*\*\*

قـالـ لـيـ صـدـيقـ مـنـ الـمـؤـلـفـينـ الـمـعـرـوفـينـ وـقـدـ رـأـيـ فـيـ يـدـيـ دـيـوانـاـ مـنـ الشـعـرـ : «ـمـاـرـأـيـكـ اـنـيـ لـاـ حـسـبـ اـنـ الشـعـرـ شـيـءـ قـدـ مـضـىـ اـوـانـهـ وـاـنـهـ لـهـ قـدـ بـسـتـهـوـيـ صـفـارـ الشـبـانـ وـلـكـنـهـ